Adab Al-Rafidain

https://radab.mosuljournals.com

Intellectual freedom and civilizational forms Our identity and what lies beyond it in the thought of the Islamic thinker Hassan Hanafi

Kifah Ali Othman

Asst.Lect./ Department of Islamic Philosophy/ College of Islamic Sciences /University of Baghdad .

Article information

Article history:
Received March5, 2023
Reviewer March22.2023
Accepted April 1, 2023
Available online December1 , 2023

Keywords:
Civilization
Heritage and heritage
Identity
Past and present

Correspondence:
Kifah Ali Othman
kefahali406@gmail.com

Abstract

From a decisive civilizational point of view, Hassan Hanafi expresses a cultural vision and desire in Islamic thought that works to address the reality of Arab thinking and strive to get rid of the restrictions of religious beliefs that stifle human creativity. With this step, the renewal of Islamic thought in the Arab world should result in a new concept of religion and introduce a free cultural revolution. She goes on to develop a new theology with a progressive perspective on life rooted in liberation and social justice. It aims to liberate the Arab-Islamic society from decline and fragmentation, and to produce a just, prosperous and civilized society.

Influenced by modern Western philosophy, Hassan Hanafi desires a major cultural revolution in the Arab-Islamic world, which can promote progress toward an integrated civilizational construction and limit the decline of religiosity in the Arab world. Hanafi raises his argument that this decline occurred because many contemporary Arabs view religion as an individual issue, and therefore it is a religious, institutional, and educational obstacle to the first epistemological bases on which freedom of thought is built.

From this standpoint, this study provides an intellectual framework for analyzing Hassan Hanafi's new theological ideas using a cultural perspective, as well as practical practice in an attempt to build societal and individual equality, justice before the law, and support for human rights.

DOI: 10.33899/radab.2023.181007, ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

الحرية الفكرية والإشكال الحضاري
هويتنا وما وراءها عند المفكر حسن حنفي

كفاح علي عثمان*

المستخلص :

* مدرس مساعد / قسم الفلسفة / كلية الاداب / جامعة بغداد

من وجهة نظر حضارية حاسمة، يعبّر حسن حنفى فى رؤية ورغبة ثقافية فى الفكر الإسلامى تعمل على معالجة واقع التفكير عند العرب والاجتهاد فى التخلص من قيود العقائد الدينية التى تخنق الإبداع البشرى. وبهذه الخطوة يجب أن ينتج عن تجديد الفكر الإسلامى فى العالم العربى مفهوم جديد للدين وأن يقدم ثورة ثقافية حرّة. تذهب فى تطوير لاهوت جديد من خلال منظور تقدمى للحياة متجذر فى التحرر والعدالة الاجتماعية. ويهدف إلى تحرير المجتمع العربى الإسلامى من الانحدار والتشرذم، وإنتاج مجتمع عادل ومزدهر ومتحضر.

يرغب حسن حنفى، فى ظل تأثره بالفلسفة الغربية الحديثة، فى ثورة ثقافية كبرى فى العالم العربى الإسلامى، يمكن أن تعزز التقدم نحو البناء الحضارى المتكامل وتحد من انحطاط التدين فى العالم العربى. ويطرح حنفى جدليته بأن هذا الانحطاط حدث لأن العديد من العرب المعاصرين ينظرون إلى الدين على أنه مسألة فردية، وبالتالى فهو دينى مؤسساتى تعليمى يقف عائقاً أمام القواعد المعرفية الأولى التى تبنى عليها حرية التفكير. ومن هذا المنطلق تقدّم هذه الدراسة إطاراً فكرياً لتحليل أفكار حسن حنفى اللاهوتية الجديدة باستخدام المنظور الثقافى، فضلاً عن الممارسة العملية فى محاولة بناء المساواة المجتمعية والفردية والعدالة أمام القانون ودعم حقوق الإنسان.

الكلمات المفتاحية : الفكر، الحضارة، التراث والموروث، الهوية، الماضى والحاضر

المقدمة :

يعدُّ الدكتور حسن حنفي[1] من أبرز المشتغلين في الفكر العربي والفلسفة المعاصرة ، ويتمتع بإمكانية بحثية عالية في معالجة القضايا الفكرية وإرهاصات المجتمع ، والمشكلات الدائرة في الساحة العربية

وفي هذا السياق تحتل اعمال المفكر المصري الدكتور حسن حنفي مكانة متميزة لما تطرحه من منهجية لها حضورها وجديتها في محاولة اصلاح مسار المشروع النهضوي العربي الذي انتهى - حسب قوله - إلى الانحسار والتفكك تحت ضغط الثنائية الجامدة ، ثنائية الموروث القديم والواقع الجديد ، الاصالة والمعاصرة ، وفي مشروعه هذا يذهب حنفي إلى الوسائل الاحفورية في التنقيب وكشف الزلات التي عكست على موروثنا الحضاري الذي انبنت عليه ثقافاتنا وحلّقت في أجوائه أفكارنا ، وتشخيص السلبيات التي أسرت عقولنا وأصابت حريتنا الفكرية بشلل وأوقفت الزمان بأحكامها وسلطتها المقدسة .

وهكذا اذاً يعد الموقف الحضاري من التراث ومن الواقع في مشروع حنفي ؛ بأن يشكل رؤية تحليلية نقدية للتاريخ العربي الاسلامي في اطار التاريخ الانساني العام ، وكل هذا يكون نقطة نوعية في الوعي العربي الاسلامي من منظور حضاري شامل ، يعطي الامة مجالاً رحباً فسيحاً للامل والعمل .

ولهذا يدعو حنفي إلى أن يكون الواقع المعاش هو المصدر الوحيد للتنظير العقلي ، ولن يكون ذلك إلا بالخروج من دائرة النص المقدس النظري الذي تشبث به رجال الاصلاح ، إلى المضمون الاجتماعي للاسلام من دون تقليد سواء للمجتمع الاسلامي الاول بدعوى الحرص على نقل التجربة الاسلامية ، أو للغرب المعاصر بدعوى اهمية ترجمة العلم الغربي المتقدم .

لقد حدد حنفي اولى العلل التي مثّلت السبب الأولي في شلل الحضارة الفكري ، وكان منحصراً في انهيار العقلانية والحضارة العقلانية من خلال هيمنة الصنمية والتخندق بالاصولية المحكمة ، مما أعاق مرحلة الحرية الفكرية وأحكم أسرها لزمن ليس بالقليل .

ويبدأ حنفي ملاحظاته عن الحضارة بتتبع طبيعة الحرية والحركة الحرة من نماذج التاريخ الإسلامي ، فقد سادت الحضارات الدينية ولم تكن هناك حرية عقلية ، وقد استطاع أن يميّز بين نوعين من حركية الحرية الاولى ؛ تلك التي يمكن من خلالها ممارسة النقد الذاتي تحت طائلة الدين ، والاخرى يتم من خلالها ممارسة النقد الذاتي خارج دائرة الدين .

وفي مرحلة لاحقة من النهوض الحضاري نرى زمن ظهور علم الكلام الذي عدّه حنفي قمة الانسنة والتحضر ،إذ تمثل هذه المدة نقطة تحول حاسمة بالنقد الذاتي واعادة النظر بالعلوم والتقاليد والمعارف الموروثة ، وبوصفه ميلاداً جديداً أو استرجاعاً للعقل الفلسفي الخالص ، كما يثمن حنفي دور العقل في حركة الاصلاح التي استهدفت الحرية العقلية تحت طائلة الدين .

---

(1) حسن حنفي : مفكر إسلامي مصري من مواليد القاهرة 1935 ، يعمل استاذاً جامعياً ، وهو واحد من منظري تيار اليسار الإسلامي وتيار علم الاستغراب ، وأحد المفكرين العرب المعاصرين ، ويعد من أصحاب المشاريع الفكرية العربية ، مارس التدريس في عدد من الجامعات العربية ، وشغل منصب رئيس قسم الفلسفة في جامعة القاهرة ، وهو حاصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون في فرنسا .

ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، حسن حنفي .

وهنا يرى حنفي أن وظيفة التاريخ الغائية تتمثل بالبعد الرسالوي الانبعاثي المتمثل بفلسفة عقلانية تدعو لفهم أشكال الحرية العقلية ، والتي ستعيد العقل إلى عرشه الأوائلي .

المبحث الأول : الموروث الحضاري واشكالية التجديد

في أحد مؤلفات المفكر المصري حسن حنفي وهو بعنوان (التراث والتجديد) ، نجده ينطلق من التعريفات العامة لمعنى التراث ويستعير بالدلالات والاستضاحات اللغوية لهذا المعنى ، والتراث كما يقرأه حسن حنفي هو عصارة انفعال فكر حامل بين ثناياه أحداث حقائق تاريخية[2] ، وهو مجمل ما عاشته الأجيال وتعاقبت على تناقله والاستمرار في حفظه والتواصي به .

وهو ليس تصويراً مثالياً بعيداً عن أركان الواقع ، بل هو نسيج محاك من غزل نتاجات العلوم النظرية وما بين واقع تطبيق هذه العلوم محكومة بالظروف الزمانية والمكانية التي ولدت معها ، وبالتالي فالموروث القديم هو الجبهة الأولى المفروضة علينا من أجل تحديد علاقة سليمة وصحيحة بالماضي الموروث الأصيل[3] .

ويحدد حنفي كاشارة اولى إلى أهمية هذا الموروث لدى طبقات الجماهير وفئات الناس العامة ، بكونه عاملاً نفسياً مهماً جاء نتيجة للصراع الجدلي ما بين المستوى المادي الواقعي وما بين المستوى الصوري الروحي[4]. وقد تحول هذا العامل النفسي إلى صرح كبير في نفوسنا ، نص مقدس لا يفارق وعينا ، وهو شعورٌ دائمٌ يبعث على الراحة والاطمئنان ، ويرجو الخير والأمل والاستقرار في بواطن عقولنا ، وهذا ما انعكس في أفكارنا التي هي ليست مجرد آراء فارغة أو تصورات مجردة ، بل هي أنماط حياة ومناهج سلوك[5] ، ارتبطت بأدق تفاصيل معاشنا التي من خلالها شكّلت قوالب تفكيرنا سواء أكنا أفراداً أم مجتمعات .

وفي نظرة جديدة يقدمها المفكر حسن حنفي حينما عدّ التراث بأنه يمكن أن يشكل نقطة انطلاقة لتجديد الفكر ، وذلك من خلال وصفه بأن التراث ما زال قيمة حيّة في وجدان العصر ، ويمكن أن يؤثر فيه ويكون باعثاً على السلوك[6] ، وهو ضرورة واقعية ورؤية صائبة لفهم الواقع ، ومن هذا المنطلق نعمل على حلحلة العقد التي تصيب المجتمعات بمختلف أشكالها ، وإصلاح التوجه لضبط دوافع البشر الفكرية ، وهذا كله يصب في مصلحة الحداثة والتجديد والارتقاء بالمجتمعات لكي لا تدفن في مدافن الوهم والاسطورة والخيال .

لقد حاول حسن حنفي في بداية مشروعه الحضاري أن يعطي للتراث مصداقية أكثر ، والعمل على إعادة قراءته بشكلٍ يجعله يواكب العصر الحالي ، لأن ما كان في الماضي ليس بالضرورة موجود في الحاضر ، وهذا ما جعله يسعى إلى إعادة بناء العلوم المختلفة والعمل على توحيدها[7] .

إن الماضي والحاضر كلاهما معاشان في الوعي ، وفهمنا لوعينا يكشف لنا مكنونات موروثنا المتراكم وتفاعله مع تطلعات فكرنا الحاضر .

إن تحليلنا لموروثنا القديم هو في الوقت نفسه تحليل لقدرات عقلنا وفهمنا لفكرنا المعاصر ، وكلما تعمقنا في بحثنا وتحليلنا في ماضي موروثنا زادت قابليتنا وقدرتنا على اجتياز عقبة الدخول في فهم حاضرنا ، وتهيأت لنا الأسباب في إمكانية رؤية معاصرة تقضي على معوقات الانعزال الأبدي ، حتى تبرز لنا مواطن القوة والأصالة في تأسيس نهضتنا الفكرية المعاصرة[8] .

فالمعاصرة إذاً اعطاء أولوية الواقع عن الفكر حتى يصبح الفكر هو رؤية هذا الواقع نفسه ، ويتم في قراءتنا للنصوص الدينية أو التراث القديم ، وإذا كانت الأصالة هي تحويل الفكر إلى الواقع ، تكون المعاصرة بتحويل الواقع إلى فكر[9] .

ويخلص حنفي إلى أن التراث والتجديد يمثلان عملية حضارية وهي اكتشاف التاريخ ، وهي حاجة ملحة وطلب ثوري في وجداننا المعاصر .

---

(2) حسن حنفي . التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط4 ، بيروت ، 1992 ، ص14

(3) حسن حنفي . الدين والثورة في مصر ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ب ط ، ج7 ، ص343

(4) التراث والتجديد ، المصدر السابق ، ص16

(5) المصدر نفسه ، ص17

(6) المصدر نفسه ، ص19

(7) فاطمة الزهراء قداري/غنية قوادري ، الأصالة والمعاصرة في فكر حسن حنفي ، رسالة ماجستير في الفلسفة بإشراف الاستاذ : حميد مخوخ ، جامعة الجيلالي بو نعامة بخميس مليانة ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية ، قسم الفلسفة ، السنة الدراسية 2016/2015 ، ص43

(8) التراث والتجديد ، المصدر السابق ، ص20

(9) حسن حنفي . قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر ، دار التنوير للطباعة والنشر ، لبنان ، ط2 ، 1983 ، ص52

كما يرى حنفي بأن التراث ليس قضية دينية خالصة بوصفه مصبوغاً بصبغة دينية ولكونه نشأ بدءًا من الدين ، ولكنه قضية انسانية تمس حياة كل انسان وتدخل في مواجهة اثبات شقائهم أو سعادتهم .

فالقضية إذاً تكمن في تجديد التراث[10] ، والتجديد هنا هو دراسة للبعد الاجتماعي ، وذو صلة بالبناء الحضاري بمختلف نتاجاته ، فالتراث حضارة إذاً ، والحضارة ناشئة بفعل حركة وصيرورة الزمان والمكان ، وهو لا يتبع أو لا يرتبط بدين محدد بأي شكلٍ من الأشكال .

إن ما يجب أن نلتفت له هو أن التراث ليس قضية فخر واعتزاز بالماضي ، وبما تركه الآباء والأجداد لنا ، ولأن الاعتزاز بالماضي هو استسلام ورضوخ له دون تقدم وانفتاح وبالتالي هو تخلٍ عن معارك العصر .

وكما أن التجديد بثقافة العصر ليست غاية في ذاتها ، أي لا يمكن تحديدها ووصف توجهها بالتعرف بها والكتابة عنها وتقديمها للآخر والدعوة لها ، فهذه تعدُّ ثقافة غير حقيقية ، ونمطية فكرية زائفة لأنها قادمة من حضارة غازية[11] ، وبالتالي فهي دخيلة على تراثنا وتفرض نفسها لأنها عالمية ، وتجذبنا نحن المتمسكون بالموروث إلى عالميتها ، وهذا هدمٌ للتكامل الحضاري المنشود وافتراقٌ كبير ما بين الماضي الموروث والحاضر المفروض .

إذاً لا بد لنا من عملية التوفيق ما بين الموروث القديم وما يتفق مع جديد العصر ، أو اللجوء إلى موقف انتقائي يأخذ أحسن ما يوجد في هذين النموذجين والتوفيق بينهما في صيغة واحدة ومشتركة ، وهذا ما يجب إيجاده في فكرنا العربي الحديث والمعاصر[12] ، في وقت يتطلب عدم التفريط في الماضي وعدم التفريط في العصر وظـــروفه ، ولاسيما أنها أمة تراثـــية[13] .

وهذا يتطلب منا إبراز أهم الجوانب التقدمية في تراثنا القديم وأن نقدم هذا تلبية لحاجات العصر من تقدم وتغير اجتماعي ، وهي جوانب مليئة بالنتاجات العقلية المنطقية وجوانب اقتصادية أخرى ونظريات قانونية تتفق مع متطلبات العصر والتوجه الفكري الحديث[14] . وهنا تقع على عاتقنا مسؤولية تجديد هذا الموروث والتوسع أكثر في أساسه الفكري والعلمي ، الذي سوف يكون ملائماً لواقعنا ومتماشياً مع حاضرنا دون التخلي عن ماضينا ، ويحصل التجديد هنا بموروثٍ خالصٍ أصيل وغير مشكوكٍ بمنهجه .

والسؤال المطروح في تجديد الفكر العربي ؛ هو إلى أي حد يستطيع الفكر العربي المعاصر أن يحافظ على ذاته واستقلاله في الوقت نفسه يكون معاصراً[15] ؟ وهي قضية عميقة شغلت فكر المفكرين وأرّقت أذهانهم .

يرى حنفي بأنه لا قديم بلا جديد ، ولا جديد بلا قديم[16] ، فلا ماضي بلا حاضر ، ولا حاضر بلا ماضي ، أي لا يمكن تصور الموروث الأصيل بلا فكرٍ معاصرٍ متجدد ، وبالوقت نفسه لا يمكن التعامل مع المعاصر المتجدد بلا ماضيه الموروث .

المبحث الثاني : هويتنا وأزمة الفكر الجديد

تعدُّ الهوية مسألة ذات طابع فلسفي ، وذلك لتعلق أمرها بالذات (الأنا) والذوات الأخرى (الغير) ، وهي بكونها تعبيراً عن الحرية ، والمعنى هنا في الحرية الذاتية ، فالهوية إمكانية قد توجد وقد لا توجد ، فإذا وجدت فوجودها ذاتي ، وإن غابت فهذا يدعى الاغتراب[17] .

لذا فليست الهوية موضوعاً ثابتاً أو حقيقة واقعة بل هي إمكانية حركية تتفاعل مع الحرية ، فالهوية قائمة على الحرية لأنها احساس بالذات والذات حرة ، والحرية قائمة على الهوية لأنها تعبير عنها ، فالحرية تحرر ، فهي إمكانية لأن يكون الإنسان حراً[18] .

---

(10) التراث والتجديد ، المصدر السابق ، ص23
(11) المصدر نفسه ، ص31
(12) فاطمة الزهراء قداري/غنية قوادري ، الأصالة والمعاصرة في فكر حسن حنفي ، المصدر السابق ، ص14
(13) كريمة كربية . إشكالية التجديد في فكر حسن حنفي ، بحث منشور في مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية ، جامعة السلطان قابوس ، ص40
(14) التراث والتجديد ، المصدر السابق ، ص34
(15) حسن حنفي . حوار الأجيال ، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1998 ، ص233
(16) حسن حنفي . حصار الزمن : الماضي والمستقبل ، مركز الكتاب للنشر ، القاهرة ، ط1 ، 2006 ، ص458
(17) حسن حنفي . الهوية ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط1 ، 2012 ، ص11
(18) المصدر نفسه ، ص23

إن تجديد التراث أو مشروع الفكر الجديد ؛ ليس هو مشروع الدفاع عن الذات وحمايتها وإثبات الهوية والمحافظة عليها فحسب ، بل التراث هو أحد مكونات الذات الفردة لا ذواتنا بأجمعها ، فالذات في حقيقتها موروثٌ قديم ، عمقٌ في الماضي ، كما أنه وفي الوقت نفسه تجديد وتحديثٌ للواقع وعصرنته .

إن طمر الذات في التراث يؤدي الى التقوقع وتصبح هوية لا وجود لها في الحاضر والمستقبل ، وهذا شبيهٌ بالغلبة ومحو الذات ، وقد يستخدم التراث في اخفاء الانصهار في الآخر واتباعه والانقياد له ، والتراث ليس مطلوباً لذاته في المشروع بل هو مجرد أداة ووظيفة[19] .

إن للهوية إمكانية بأن توجد أو لا توجد ، مصاحبة للوجود كوعي ذاتي ، وهي تتخلق بالحرية ، وتلتحم بالأفكار الحرة ، فهذه البنية التي تتمتع بها الهوية تنسجم مع الأساس للذات الحرة ، فكل ذات لها هوية كامنة توحدها وتحميها من الانقسام ، وتمنعها من التشرذم ، لذلك يتم التيقن من التمييز ما بين الوجود الإنساني الماهوي الذي هو حتماً غير الوجود الطبيعي ، والهوية هي التي تنبع من الذات ، من الجوهر ، لا من الأعراض الخارجية ، فهي الهوية التي تصبح فيها الإنسانية هوية واحدة ، لا تتميز فيها بين أجناس أو لغات أو ثقافات أو أوطان[20] .

فالحقيقة إذاً ليست في تحقق الهوية في العالم ابتداءً من وحدة الذات دون انقسامها ، ولأن جذور هويتنا هذه كانت قد غرست في أرض التراث والماضي الأصيل ، فهي لا بد من أن تتطلع إلى عنوان تحققها في الواقع المعاش الظاهر أمام ذواتنا ، وبما أن التراث جزء من التغير الاجتماعي[21] ، فالهوية الضائعة تجد نفسها مع الآخرين .

أما الاغتراب الاجتماعي فهو انتماء الذات إلى طبقة عليا تحمي مصالحها مضحية بالهوية الوطنية ، وهذا ليس تخلياً عن مبادئ الذاتية الأولى ، بل تسير فوق اصول الانتماء الصحيح ، وهو واقعٌ غير مستدام وتعاني فيه الذات دوماً من فقدان حريتها وضياع هويتها التي وجدت لأجلها[22] .

وأما الاغتراب التاريخي ، فهو ألّا تعيش الذات لحظتها الحاضرة لصعوبة الدخول فيها ، وتستسهل العيش في لحظات ماضيها ، وتتشبث به ولن تتخلى عنه ، فتنشأ الحركة الراديكالية المتمردة والمعارضة للواقع المتغير الجديد ، فترفضه وتبقى مدافعة عن موروثها القديم ، فالماضي بتصورها أفضل من الحاضر حتى وإن فتح لها ذراعيه وبكل انفتاح ، إن الماضي مفتوح عن طريق الخيال والتمني ، بعكس الحاضر الذي سوف يكون مسدوداً بعد اقترانه بطريق العقل والفعل[23] .

وهذا ما جعل من الموروث الديني يقع في اغترابه المظلم العميق ، وحصل على تأييد لهذا الاغتراب من قبل صنّاعه ، ورفعوا قانونهم الأكبر ؛ مثل { خير القرون قرني } [24]. وقد وصف هذا على حد تعبير الدكتور حنفي ؛ القول بالجبر في تراثنا القديم ، لأنّه يستخدم من قبل الأنظمة التسلطية لتثبيت دعائم سلطتها ، وقبول الناس لحكمهم تحت راية عقيدة الجبر ، فيرى حنفي أنّ عقائد الجبر هي السبب الرئيس في استكانة الشعوب ، وقبولها واستسلامها للأمر الواقع ، وما به من فقر وجهل وتخلف ، ما دامت الشرور والآثام واقعة حتماً لا يمكن تغييرها إلى نفع وصلاح[25] .

وبرغم هذا تستطيع الذات أن تسترد هويتها ، وتزيح القسمة عن كاهلها ، وتستعيد وحدتها ، وتقضي على اغترابها عن طريق الثقة بالنفس ، وعودة الوعي ، وازاحة الاحساس بالعجز ، ولأن الذات أضعف من العالم ، والعالم أقوى منها ، فتستطيع ذلك عن طريق الصدق ، وأن يكون ما في القلب على اللسان ، أي التوحيد بين الهوية واللغة ، بين الوجود والكلمة ، وتستبعد كل مظاهر النفاق عندما تقول ما لا تشعر به ، وتشعر بما لا تقوله ، وتستبعد كل مظاهر العجز عندما تقول ما لا تفعل ، وتفعل ما لا تقول..[26]

إذاً السؤال هنا ؛ هل تنشأ الهوية من اللغة ؟ فالعروبة في اللغة العربية ، وليست العروبة بأبٍ أو أمٍ ..!! ، وإنما العروبة هي اللسان ، فكل من تحدث العربية فهو عربي ، فهناك هوية عربية هي أساس القومية العربية والثقافة العربية ، والأصل في ذلك بأن القومية العربية لا تقوم على العرق .. ، بل على اللغة والثقافة والجوار الجغرافي والتاريخ المشترك[27] .

---

(19) كريمة كربية . المصدر السابق ، ص48
(20) الهوية ، المصدر السابق ، ص74
(21) كريمة كربية . المصدر السابق ، ص48
(22) حسن حنفي . الهوية والاغتراب في الوعي العربي ، بحث متاح على شبكة الانترنت ، 2017/9/6
(23) المصدر نفسه
(24) الهوية ، المصدر السابق ، ص48
(25) أحمد سالم . التراث في فكر حسن حنفي ، مقالة متاحة على شبكة الانترنت بتارخ 2019/6/18 .
(26) حسن حنفي . الهوية والاغتراب في الوعي العربي ، المصدر السابق
(27) قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر ، المصدر السابق ، ص69

وبهذا تلحق اللغة باغتراب الهوية وتساعد في اغتراب الفكر بعد اغتراب الوجود ، ويصبح الاغتراب هو النسيج الفعلي للوجود العربي ، هوية ولغة وثقافة فيغترب العربي في التاريخ ، ويخرج عن مساره ، وتتغير معالم منطقته إلى هويات ولغات وثقافات جديدة أخرى .

وإذا قويت الهوية قويت اللغة ، وإذا ضعفت الهوية ضعفت اللغة ، لأن اللغة تعبير عن الهوية طبقاً للقول المشهور (تحدث حتى أراك)[28] .

لقد فرض كل فكر جديد لغته ، وبدأت كل حركة جديدة بتجديد اللغة أولاً ، إذ يحدث أحياناً عندما تتطور الحضارة وتمتد وتتسع معانيها أن تضيق بلغتها القديمة الخاصة التي لم تعد قادرة على إيصال أكبر قدر ممكن من المعاني لأكبر عدد ممكن من الناس ، فتنشأ حركة تجديد لغوية وتســـقط فيها الحضـــارة لغتها القديمة الخاصة ، وتضع لغة جديدة أكثر قدرة على التعبير[29] .

إن الهوية أسبق في الوجود الإنساني من اللغة ، وإن كان الوجود أسبق منها ، فالوجود يوجد أولاً ، ثم يتحرك بوصفه وعياً ذاتياً إلى هوية ، ثم تعبّر الهوية عن نفسها باللغة لإيصال رسالتها إلى الآخرين ، فاللغة تعبير وإيصال وتواصل بين الذوات ، وتمثل الذاتية المشتركة Intersubjectivity الانسانية جمعاء ، فليس للهُوية مكان وإن كانت فيه ، وهو الوطن ، وليس لها زمان وإن كانت فيه ، وهو التاريخ .

المبحث الثالث : بناء الحضارة في تكاملية الماضي والحاضر

إن الأصالة ببعدها الماضي ، والمعاصرة بمنظورها للحاضر وبتطلعها للمستقبل ؛ مرتبطان حضارياً ، وهي تدور على وفق جدلية واعية متكاملة .

إن التكافؤ الذي نطمح الى تحقيقه ما بين الماضي الموروث والواقع الجديد يأتي متكاملاً بصيغة منظومة حياتية تتحول إلى واقع ماثل ومعاش ، واقع تحكمه التراثية الواعية والعقلانية المفتوحة والعلمية والحرية[30] .

وعلى وفق هذا الانجذاب والطموح ، يمكننا تشخيص طرفين متنازعين وعلى طرفي نقيض ، فالأول يقمع في الماضي وطوباويته ، والطرف الثاني يشرأب إلى المستقبل وأحلامه[31] .

وفي بداية الأزمة التي تتحدث عن الجمع بين الماضي الموروث وبين الحاضر الجديد ، نرى أنه لا ضرر في الجمع بينهما ، شرط أن نلتزم ببعض الجوانب ونحافظ عليها ، لأن كلاً من الماضي والحاضر شكّل مرحلة من مراحل التاريخ الإنساني . فالماضي الموروث يمثل أصالة تراث الإنسان ، أما الحاضر فتمثل في واقع حاضره الجديد ، فتبنى قضية التمسّك بالماضي الأصيل كما يدّعي دعاة الإرث الأصيل في حبهم لذاتهم ، ورفضهم لوجهات الحاضر الجديد ظناً في توقعهم بأنه سيؤدي إلى فقدان الذات وضمورها تدريجياً ، لذا كانت المواقف متراوحة بين مؤيدٍ ومعارض[32] .

إن الموروث القديم يعبّر عن تاريخ الإنسان وماضيه ، وكل ما يحمله من عادات وتقاليد ، والذي بدوره يعبّر عن هويته وأصالة حضارته الحقيقية ، أما الواقع الجديد فهو اجتهاد شخصي فكري محض ، إذ عن طريقه يمكن للإنسان أن يطور ذاته عل جميع الأصعدة ، وعلى هذا الأساس لا يمكن للإنسان أن يعيش دون ماضيه ولا دون حاضره ، إذ لا ينبغي عليه الأخذ بواحدة دون الأخرى[33] .

ويمكن القول إن الواقع المعاش هو الذي من خلاله يمكن تحقيق هذه الوحدة ، فالماضي متأصلٌ بموروثنا وباللحظة نفسها يجذبنا الحاضر عبر الواقع الجديد ، إلى بناء أرضية ثابتة لتحقق وحدتها العضوية في ارتباطهما ، لأن كلاهما يمثلان روح المجتمعات بمختلف البشر ، فبالموروث الأصيل يتمكن الإنسان من الرجوع إلى ماضيه والأخذ منه ، فهو يعدُّ تاريخه ومنبعه الأصيل ، وبالواقع الجديد يطمح إلى العيش في هذا العصر بكل ما يظهر له من جديد ، وعليه فإذا تم الربط بين هاتين الوحدتين نجح الإنسان في حياته ، كما أنه سوف يتمكن من تجاوز العراقيل التي ستواجهه في الحياة[34] .

---

(28) حسن حنفي . الهوية والاغتراب في الوعي العربي ، المصدر السابق
(29) التراث والتجديد ، المصدر السابق ، ص109
(30) كريمة كربية . المصدر السابق ، ص47
(31) حسن حنفي . حصار الزمن : الماضي والمستقبل ، المصدر السابق ، ص357

(32) فاطمة الزهراء قداري/غنية قوادري ، الأصالة والمعاصرة في فكر حسن حنفي ، المصدر السابق ، ص69
(33) فاطمة الزهراء قداري/غنية قوادري ، الأصالة والمعاصرة في فكر حسن حنفي ، المصدر السابق ، ص70
(34) المصدر نفسه ، ص72

إن التراث عند الدكتور حسن حنفي ذو صلة بالماضي والحاضر في آن معاً ، ومما يستوقف النظر ، أن الأولوية للتراث ، للقديم ، للأصالة ، وليس التجديد أو الجديد سوى لاحق عليه[35] .

ويشير حنفي إلى أن التراث ، أو القديم ، هو الأصالة ، أضف إلى ذلك أنه وسيلة ، أما الغاية فهي المعاصرة ، والتي لا تتأتى أو تتحقق إلا بالتجديد ، وكما يذكر حنفي في العديد من مؤلفاته ؛ بأن البداية تكون هي (التراث) وليس (التجديد)[36] .

ورغم الأهمية الفائقة التي يوليها الدكتور حنفي للتراث ، للأصالة ، للقديم ، إلا أن (التراث ليس قيمة في ذاته!!)[37] ، ولكن إذا لم يكن التراث قيمة في ذاته ، ما الذي يجعله ذا قيمة..؟ إن ما يجعله كذلك هو احتواؤه على نظرية علمية في تفسير الواقع المعاصر ، كما أنه ليس مرشداً للعمل على تغييره والارتقاء به من خلال ثورة صناعية وزراعية تسبقها ثورة إنسانية ، وعلى الرغم من ذلك يؤكد الدكتور حنفي أن القديم يسبق الجديد ، وأن الأصالة أساس المعاصرة ، وأن الوسيلة تؤدي إلى الغاية ، وما الغاية؟ إنها التجديد .

والتساؤل الذي يطرح على أذهاننا ، هل نستطيع الجزم بأن القديم يمكن تطويره ؟ وبلا شك نجد الإجابة في أبحاث ومقالات الدكتور حسن حنفي بالقبول والإيجاب[38] ، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على ثقته المطلقة بالقديم ، ولا شك في أن الجديد لا يقوم على عدم ؛ لأنه ينبني على قديم ما ، ولا يمكن تطويره إلى جديد بغض النظر عن كيفيته ، لا مناص من توافر (قابلية) أو إمكانية معينة في القديم كي يتسنى تطويره .

ويرى حنفي إلى أن التراث قد يكون وسيلة مؤدية للمعاصرة إذا قمنا بإعادة تفسيره على وفق حاجات العصر ، إذن الأصل يكمن في متطلبات أو حاجات العصر ، أو بعبارة د. حنفي (الغاية هي المعاصرة)[39] .

ويؤكد الدكتور حسن حنفي على أن التراث القديم ليس قديماً فحسب ، بل هو جزء من الواقع ومكوناته النفسية أيضاً ، ولأنه تعبيرٌ عن الحاضر اعتماداً على الماضي لتجاوز المسافة الزمنية بين الاثنين ، فالتجديد من خلال القديم ، والقديم من خلال الجديد ، كالجذور والأوراق[40] .

ولا بد لنا من فهم أن الواقع عند الدكتور حنفي هو الإبداع ، واستناداً إليه يتم التعامل مع التراثين : القديم والجديد ، إن فهم الواقع الحالي أولاً هو المدخل لفهم التراثين : القديم والجديد ، ذلك لأن إعادة بناء التراث القديم ، وأيضاً اختيار ما يؤدي إلى المصلحة ، إنما يتمان على أساسه ، وهذا يعتمد على تجاوز الزمان والمكان وإجراء المعجزات ، فالإبداع ربطٌ بين الماضي والحاضر وتجاوز التاريخ الجامع للزمان والمكان إلى البنية المتكاملة ، أو بلغة المحدثين الانتقال من المتوالية الزمانية Diachronism إلى المعية الزمانية Synchronism [41] أو على حد تعبير الفينومينولوجيين والبنائيين[42] .

لذلك لا بد ، برأي الدكتور حنفي ، من إحصاء دقيق لمشاكل الواقع ومتطلباته واحتياجاته ، التي يمكن أن تكون مقياساً يعاد على وفقه بناء التراث القديم واختيار التراث العربي..[43] ، وليست القضية إذاً زعماً .. ، بل هو إبداعٌ حضاري معروف عند كل الشعوب وفي كل إبداعٍ ذهني ، في الأدب والتاريخ والفلسفة والحديث والتفسير[44] .

<u>نتائج البحث</u> :

وبعد إتمامنا لمباحث البحث الثلاثة لا بد لنا من الوقوف عند النقاط النهائية الآتية :-

1. نرى بأن المفكر حسن حنفي يؤكد على أن أهم ما يحتاجه العرب في الوقت الراهن هو فلسفة الحرية الفكرية ، وتكون نابعة من عمق تراثنا الأصيل ، ومنعكسة عن عراقة هويتنا العربية الإسلامية ، بحيث أنها تبقى متواصلة مع شموخ الحضارة الأولي ، والتهيؤ لبناء الحاضر بواقعه الجديد .

(35) التراث والتجديد ، المصدر السابق ، ص13
(36) قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر ، المصدر السابق ، ص50
(37) أحمد ماضي . التراث في نظر المفكر حسن حنفي ، مقال متاح على شبكة الانترنت ، جريدة الدستور ، بتاريخ 2018/5/17
(38) قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر ، المصدر السابق ، ص52
(39) التراث والتجديد ، المصدر السابق ، ص13
(40) حوار الأجيال ، المصدر السابق ، ص44
(41) حوار الأجيال ، المصدر السابق ، ص49
(42) الفينومينولوجيا والبنيوية : مدرستان فلسفيتان عنيتا بعاملي الزمان والمكان بوصفهما أفق مفتوح بالوعي وغير مقيد .
(43) أحمد ماضي . التراث في نظر المفكر حسن حنفي ، المصدر السابق
(44) حوار الأجيال ، المصدر السابق ، ص44

2. يدعو المفكر حسن حنفي الى العمل على رصد وتحليل آلام واقعنا وأمراضه ، وذلك بضرورة العمل على توحيد الأمة والتخطيط للتنمية المستدامة ، والحاجة إلى فلسفة عملية تخاطب العامة من فئات الشعب وتتواصل معهم ، وتقليل المسافات وتقريبها بين النخب المثقفة والجماهير .

3. ونستطيع أن نشخص بعض الركائز المهمة التي يرتكز إليها الدكتور حسن حنفي في أغلب أعماله ، إذ يرى بأن الثقافة العربية هي ثقافة التوحيد بين الشعوب والقبائل والمذاهب ، مع إبقاء هامش للتعددية ، ويرى بأن التوحيد في تعددية القيم يقوم على قدرة الإنسان على معرفة الفضائل بإرادته .

4. إننا نلحظ بأن الدكتور حسن حنفي يعتقد ويؤكد باستمرار بأننا على أعتاب نهضة عربية ثانية ، تبدأ من حرية الفرد وديموقراطية الحكم ، وتنزع بذور القهر من الثقافة الموروثة المتقوقعة في ذاتها ، لكي يتم بناء مجتمعات علمية متقدمة تتمتع بفضاءات الحرية الفكرية ومناخ التقنية الحديثة ، وهذا يعدُّ حلم جميع مجتمعاتنا في الدول العربية ، وبهذا فإننا نستطيع أن نحقق المشروع القومي العربي في الثورة والنهوض من خلال قراءة تراثنا الإسلامي وبيانه وجلائه بشكلٍ عام .

أهم المصادر المستخدمة في البحث :

1. حسن حنفي . التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط4 ، بيروت ، 1992

2. حسن حنفي . الدين والثورة في مصر ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ب ط ، ج7

3. حسن حنفي . قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر ، دار التنوير للطباعة والنشر ، لبنان ، ط2 ، 1983

4. حسن حنفي . حوار الأجيال ، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1998

5. حسن حنفي . حصار الزمن : الماضي والمستقبل ، مركز الكتاب للنشر ، القاهرة ، ط1 ، 2006

6. حسن حنفي . الهوية ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط1 ، 2012

الأبحاث والمقالات المنشورة على شبكة الأنترنت :

1.أحمد سالم . التراث في فكر حسن حنفي ، مقالة متاحة على شبكة الانترنت بتارخ 2019/6/18 .

2. أحمد ماضي . التراث في نظر المفكر حسن حنفي ، مقال متاح على شبكة الانترنت ، جريدة الدستور ، بتاريخ 2018/5/17.

3. حسن حنفي . الهوية والاغتراب في الوعي العربي ، بحث متاح على شبكة الانترنت ، 2017/9/6

4. فاطمة الزهراء قداري/غنية قوادري ، الأصالة والمعاصرة في فكر حسن حنفي ، رسالة ماجستير في الفلسفة بإشراف الاستاذ : حميد مخوخ ، جامعة الجيلالي بو نعامة بخميس مليانة ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية ، قسم الفلسفة ، السنة الدراسية 2016/2015

5. كريمة كربية . إشكالية التجديد في فكر حسن حنفي ، بحث منشور في مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية ، جامعة السلطان قابوس .

The most important sources used in the research:

1. Hassan Hanafi. Heritage and Renewal, Our Position on the Ancient Heritage, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, 4th edition, Beirut, 1992.
2. Hassan Hanafi. Religion and Revolution in Egypt, Madbouly Library, Cairo, Part 1, Part 7
3. Hassan Hanafi. Contemporary Issues in Our Contemporary Thought, Dar Al-Tanweer for Printing and Publishing, Lebanon, 2nd edition, 1983.
4. Hassan Hanafi. Generations Dialogue, Qubaa Printing and Publishing House, Cairo, 1998

5. Hassan Hanafi. The Siege of Time: The Past and the Future, Al-Kitab Publishing Center, Cairo, 1st edition, 2006.
6. Hassan Hanafi. Identity, Supreme Council of Culture, Cairo, 1st edition, 2012

Research and articles published on the Internet:

1. Ahmed Salem. Heritage in the Thought of Hassan Hanafi, an article available on the Internet on 6/18/2019.
2. Ahmed Madi. Heritage in the eyes of thinker Hassan Hanafi, article available on the Internet, Al-Dustour newspaper, dated 5/17/2018.
3. Hassan Hanafi. Identity and alienation in Arab consciousness, research available on the Internet, 9/6/2017
4. Fatima Al-Zahraa Qadari/Ghania Qawadri, Authenticity and Contemporaryness in the Thought of Hassan Hanafi, Master's Thesis in Philosophy under the supervision of Professor: Hamid Makhoukh, Djilali Bou Naama University in Khemis Miliana, Faculty of Social and Human Sciences, Department of Philosophy, academic year 2015/2016
5. Karima Karbiah. The problem of renewal in the thought of Hassan Hanafi, research published in the Journal of Arts and Social Sciences, Sultan Qaboos University.